**خير الدين عبيد**

# جبـــل الســـكر

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتّاب العرب

البريد الالكتروني: unecriv@net.sy E-mail :

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

http://www.awu-dam.org

❑❑

تصميم الغلاف والرسوم الداخلية

**الفنان : خير الدين عبيد**

**خير الدين عبيد**

# جبـــل الســـكر

*** قصص للأطفال ***

**من منشورات اتحاد الكتّاب العرب**

**دمشق - 2000**

# لماذا نتذكّر الطّفولة

كي نقطف زهر الياسمين
نضمّه عقداً
ونلبسه في أعناقنا.
كي نخربش على الحيطان
حروف أسمائنا
ونرسم
عصافيرَ ووروداً.

كي نتسلّق الأشجار
ونقطف حبّات
من الكرز الأحمر
المكحّلة بخطّ أسود
كي نركض عبر دروب الحي
نختبئ خلف الأبواب
فلا يرانا
من يخبّئ رأسه بين ذراعيه
وهو لا يزال يعدّ حتّى العشرة.
كي نرى الغيوم
تتشكّل خرافاً
وطيوراً.. وعفاريت
كي نستمتع بلمعان النّجوم
تلك التي لا نستطيع عدّها

فربّما ظهرت الثآليل
على قفا أكفّنا.
كي نضحك بأعلى صوت
ونركض بأقصى سرعة
وننام
حين نضع رؤوسنا
فوق المخدّة.

←←

# أحلام الألعاب

فتحت السّـــاعة عينيها، صـــباح يوم الجمعة، وبعد تثاؤبها، دقّت ثماني دقّات.

اســـتيقظ نجيب، نظر إلى ألعابه في زاوية الغرفة، فوجدها كئيبة، على غير عادتها. عرك عينيه، جلس مسنداً ظهره إلى المخدّة، ونادى:

–صـــيّاح.. لماذا لم توقظني هذا الصّـــباح بصوتك العذب، هل أنت مريض؟

مطّ الدّيك رأسه من باب القن، قال:

–صراحة.. مللت الصّياح، كلّ صباح كو كو

ريكو، كو كو ريكو، لقـد بحّ صـــوتي والتهبـت حنجرتي، أنا أحلم بالنّوم طوال النّهار، مثل صـديقي الأرنب.

–ماذا؟! صيّاح يحبّ النّوم!

فجـأة.. نهق الحمـار الوقور بصـــوت عـال، وقال:

–هيـه.. نجيـب، على ذكر الأحلام، أحـبّ أن أحكي لك عن حلمي.

وقف الـدّبّ الكبير ذو الفرو الأبيض، الـذي يشبه القطن حرّك رأسه الكرويّ، قال:

–حمـار.. اســـمح لي أن أتكلّم، لأنّني كثير النّســيان، أمّا أنت فمشــهور بالصّــبر وطول البال، على كلّ حال، لن أطيل.

سـكت الحمار على مضـض، نظر نجيب إلى الدّبّ مستغرباً، قال:

–دبدوب.. هل لديك أحلام؟!

–ومن قال لك إنّ الدببة لا تحلم، أم تراك صدّقت كلام بعض النّاس أنّ الدببة غبية وبليدة، صحيح أنني كبير جداً، لكنني حسّاس.

–طيب.. بماذا تحلم؟

–حلمي الصحراء، لقد كرهت الثّلج والبرد، آه.. كم أنا مشتاق لرؤية الكثبان الصّفر، وأشجار النخيل الخضر، سأجري تحت أشّعة الشمس المحرقة، حتى يتصبب العرق من جسمي.

لم يصبر الحمار حتى ينهي الدب حديثه، فنهق من جديد، ضارباً الأرض بحافره، مشيراً إلى أنّ دوره في الكلام قد حان.

–دورك.. دورك، تفضل.

–أشكرك يا صديقي الطيب على تقديرك، وحسن استماعك، فأنا لم أنل من الناس سوى الضرب والشتائم، المهم.. عندي حلم وحيد وهو السّباحة، لا تستغرب، فأنا أحبّها مذ كنت جحشاً

صغيراً تصوّر.. في كثير من الأحيان أتخيّل سطل الماء الذي أشرب منه بحيرة كبيرة، صدقني، لكنّ صاحبي القديم- سامحه الله لم يشجعّني. على العكس، كان يمنعني من السير حتى في الحفر الصغيرة، المليئة بأمطار الشتاء، كان يشدّ رسني بقوّة ، ليزيحني عنها، زاعماً أنّي سأنزلق واقعاً.

التفت نجيب إلى السّلحفاة، التي كانت تقف بجانب السرير، مد يده صوبها، نقر بإصبعه على درعها العظمي، فمدّت هذه رأسها ببطء.

-صباح الخير، لقد فاتك حديث طريف، لم تسمعيه من قبل، حظّك سيء.

-ومن قال لك إنّني لم أسمع؟ أنا لم أكن نائمة كما ظننت، لقد أدخلت رأسي كي أعطي لأصدقائي فرصة للتكلّم، فلا أقاطعهم، أمّا الآن وقد جاء دوري، فأنا أعلن أمام الجميع، أن الطيران أحبّ شيء إلى نفسي، لقد قطعت خلال مئة وخمسين عاماً، مسافة

يقطعها الطائر بيوم واحد، أهذا عمر؟ أرجوك.. ضع لي جناحين، سأطير سأرى الأشجار والسّهول والبحار، سألعب مع الغيمات، وأراقص النّجمات، سوف...

–على مهلك.. على مهلك، سأحقق أحلامكم، أمري لله.

فرحت الحيوانات، اصطفّت أمامه، فنهض إليها منادياً:

–صياح.. تعال، سأضع لك أذني أرنب.

سُرَّ الديك بأذنيه الجديدتين، نظر إلى حقل البرسيم البعيد، وقبل أن يقفز نحوه، قال نجيب:

–صياح.. كن حذراً، الصيادون يحبّون الأرانب، حاول أن تسمع خطاهم بأذنيك الطويلتين، لتنجو من رصاصهم.

ودّع صياح أصدقاءه، وقفز مقلّداً الأرنب، قاصداً الحقل، كي ينام بهدوء.

–دبدوب.. دورك.

كانت لحظة وضــع ســنام الجمل على ظهره، من أســعد لحظات عمره لذا حمل قربة الماء، وجرى باتّجاه الصحراء، بغتة صاح نجيب:

–دبدوب.. دبدوب، لا داعي للقربة، فالسّـــنام مليء بالماء.

رمى الدب القربة أرضاً، وجرى مغنياً:

**ركض الدّبْ عرق الدّبْ**

**رقص.. غنّى لحن الحبْ**

–حماري الوقور، الآن ستسبح، حاول ألاّ تبتعد عن الشاطئ فالبحيرة عميقة، وأخشى عليك من الغرق.

لم يصــدق الحمار أن حوافره اســتبدلت بأرجل بطّة، جرى إلى البحيرة، رمى نفســه في الماء، وراح يسبح كحوت صغير.

أشار نجيب إلى السّلحفاة، فمشت إليه مسرعة

-لأوّل مرة في حياتها- كأنها اســـتبدلت عجلاتٍ بأرجلها.

ضحك نجيب، قال:

- على مهلك.. ستطيرين، ولكن بشرط.

- ما هو؟

- الطّيور تشدو، وأنا أحبّ أن أسمع صوتك.

- حاضــر.. ســأشــدو لك أعذبَ الألحان، هيّا.. ضع لي جناحين، خلّصني.

عندما طارت السّـلحفاة، شـعر نجيب بالوحدة، نظر جانباً شــاهد طائرته الورقيّة الملوّنة مركونة في زاويـة الغرفـة، اقترب منهـا.. حملهـا.. ضـــمّها إلى صدره مغمضاً عينيه، وراح يحلم بأنّه يمتطيها يحلّق بها عالياً، حائماً حول العالم كلّه.

# الكأس

استعداد، واحد.. اثنان.. انطلاق.

كان المتسابقون العشرة، يركضون بسرعة أرنب، بينما كانت صيحات التلاميذ وهتافاتهم وتصفيقهم، تملأ فضاء باحة المدرسة.

- أسرع يا أحمد.. أسرع.
- رامي.. رامي، الحق بهم.
- هيه.. هيه.. رامز، هيه.. هيه.. رامز.

هكـذا انطلقـت الصّـــيحـات من حنـاجر المشـجّعين، الواقفين بعصـبّية خلف الخطّ الأبيض، فـالتّنـافس كـان شـــديداً بين أحمد ورامي، اللـذين يركضـان متجاورين، لكن.. وقبل خطّ النّهاية بعشـرة أمتار، ضـاعف أحمد من سـرعته ودعس على خطّ النهاية، رافعاً يديه، وابتســـامة الفوز العريضـــة، مرسومة على فمه.

كانت لحظة رفعه للكأس الفضّـيّة، من أسـعد لحظات عمره، فقد شعر بنفسه يطير عالياً، هناك.. حيث الطّيور والغيوم وقوس قزح.

كان الجميع يصـــفّق للفائز بكلّ انفعال وحب، باستثناء رامي، الّذي امتلأ قلبه غيظاً وحقداً.

بصـــراحة.. لم ينم رامي تلك الليلة، فصـــورة الكأس الفضـــيّة اللامعة كانت ترتســـم أمامه دائماً، أينما التفت.

وفجأة.. لمعت في ذهنه فكرة.

فما أن طلع النّهار، حتّى فتح حصّالته، مخرجاً كلّ ما فيها من النّقود، ثمّ توجّه إلى متجر الأدوات الرياضية.

وقف أمـام الواجهـة الزّجـاجيـة الأنيقـة، وراح يتفحّص الأشياء المعروضة محدّثاً نفسه:

– كرة قدم، لا.. لا أريدها، مضـرب تنس.. لا أحبّه، حذاء رياضـــي أف.. أين هي.. أين أجدها، ها.. ها، تلك هي، الكأس! إنّها الكأس الفضـــيّة اللامعة ذاتها.

اندفع إلى صاحب المتجر، واشترى الكأس بلا مساومة، ثمّ ركض راجعاً إلى البيت.

كانت أم رامي تغسـل عندما قُرع الباب بعنف، نشّفت يديها ومضت مسرعة لتفتح.

– ماما.. ماما، باركي لي، لقد فزت بالسّباق، ونلت الكأس.

– مبارك يا بني، هات قبلة، لكن.. لماذا رجعت من المدرسة؟

– لقد صـــرفني المدير، قال لي بالحرف الواحد: أنت بطل يا رامي بإمكانك أن تنصرف هذا اليوم، كي تخبر والديك بالفوز، فيفرحا لك.

صـــدّقت الأم كلام ابنها، أمســـكت بالكأس، ووضعتها على الرّف.

جلس رامي على المقعد المقابل للرف، وراح يتأمّل الكأس، لكنّه دهش عندما لم يرَ اللمعان ينعكس على ســـطحها، عرك عينيه، نظر إليها من جديد، لا فائدة.. إنّها لا تلمع.

بغتة.. دخل والده الغرفة، وانتبه إلى الكأس، فسأله:

–رامي.. من أين الكأس؟

–ألم تخبرك أمّي؟ لقد فزت بســـباق الجري، الذي شــارك فيه كل تلاميذ الصــف الرابع في أثناء التصفيات، فأهدوني الكأس وسمحوا لي بيوم عطلة.

–مبارك يا بطل، ذكّرني أن أشـــتري لك بدلةً رياضيّة جديدة

فرح رامي من عرض أبيه، وعاد يتأمّل الكأس، بعد خروجه.

في هذه المرّة، لم يصدّق رامي ما رآه، فقد كان لون الكأس باهتاً.. شاحباً.. وقاتماً.

ذهل رامي، وضـــع كرســـياً تحت الرّف، أنزل الكأس، انسلّ من البيت بهدوء، تاركاً الباب الخارجي مفتوحاً، وركض من جديد صوب متجر الألعاب.

– لو سمحت أريد أن تبدل لي هذه الكأس.

– لماذا يا صغيري؟

– إنّها لا تلمع.

نظر صاحب المتجر إلى الكأس دهشاً، قال:

– لكنها تلمع، انظر.. إنّها تبدو كنجمة.

– أريد واحدة غيرها.

– حاضر.. تفضّل، هذه كأس غيرها.

وصـــل رامي إلى البيت لاهثاً، نظر إلى أمّه، كانت لا تزال منشغلة بالغسيل، تنفّس بارتياح، صعد الكرسيّ، واضعاً الكأس الجديدة على الرف.

–الآن.. سأستمتع برؤية الكأس اللامعة.

هذا ما قاله رامي لنفســـه، وهو ينزل من على الكرسي، لكن..

وللمرّة الثـانيـة، لم يلحظ أيّ لمعـة تبـدو على سـطح الكأس على العكس، كانت تبدو على شـكل قطعة حديد صدئة.

كاد عقل رامي يطير، لماذا لا تلمع كأســـه، كلمعان كأس أحمد؟

ظلّ هذا الســـؤال يرنّ في أذنيه، ولا يعرف له جواباً حتّى فاز في الفصل الثّاني من العام الدّراسي، بســـباق الجري عن جدارة واســـتحقاق، رافعاً أمام زملائه الكأس اللاّمعة.

# السّــاعة

تَكْ.. تَكْ.. تَكْ.. تَكْ..

هذه التّكّات.. كانت تصـــــدر كلّ ثانية، عن ساعة المنبّه الصغيرة المدوّرة التي تشبه القمر.

مع كلّ تكّة، كان عقرب الثّواني ينطّ من مكان إلى آخر، دائراً حول محوره بانتظام.

وفجأة.. صدر صوت غير منتظم.

تَكْ.. تَكْ تَكْ تَكْ.... تَكْ.

أحسّــت الأرقام المطبوعة على وجه السّــاعة، باضطراب العقرب فنظرت إليه حائرة، وقالت:

–عقرب.. ما بك، لماذا أنت مضطرب؟

–تَكْ... تَكْ. تكْ تَكْ، وكيف لا أضـــطرب، وحضرتكم جالسون في خلقتي؟!

–ما هذه اللهجة القاســـية التي تخاطبنا بها، ماذا جرى، هل أسأنا إليك؟

–مســـكينات، دائماً تتظاهرن بعدم المعرفة، طبعاً أسأتن، وإساءتكن لا تغتفر.

شـــعرت الأرقام بجديّة كلام العقرب، فقالت بلهجة رقيقة:

–أخي.. لو سمحت، أوضح لنا سبب انزعاجك منّا.

انتفض العقرب غاضباً، فلامس زجاج السّاعة، قال:

–لقد دخت لكثرة الدّوران، كلّ دقيقة أدور دورة، وفي النّهاية يذهب تعبي وتعب والدي عقرب الدّقائق

وتعب جدّي عقرب السّـــاعات كلّه في الهواء، بينما أنتن تنلن التّقدير.

–ماذا تقصد؟ لم نفهم.

–سأفهمكن.. إذا سأل صاحب البيت ابنه عن السّـاعة الآن... بماذا يجيبه؟ تكلّمن.. سـأقول لكن، يجيبه: الساعة تشير إلى السادسة وعشر دقائق.

السّـادسـة.. تعني حضـرة الرّقم سـتّة، عشـر دقـائق.. تعني حضـــرة الرّقم اثنين ذي الظّهر المحدّب، أمّا أنا.. العقرب الذي أصـيب بالصّـداع لكثرة الدوران، فلا أحد يذكر اسمه، أعرفتم السّبب؟

– عفواً أيّها الصّـــديق، أنت تبالغ، نحن لا ننكر أنّك تعمل بجدّ ونشـــاط لكنّ عملك لا يسـاوي شـيئاً، إذا لم تشـر إلينا، أنت وأبيك وجدّك، صـحيح أنّنا نتضـايق لحظات عندما تشـير إلى سـاعة الاسـتيقاظ، فيرن جرس المنبـه، ويوقظنـا، لكنّنـا سـرعـان مـا نفرح،

عندما يذهب صـــاحب البيت إلى عمله من غير أن يتأخّر اسـمع أيّها الصّـديق العزيز، كلنـا مهم لمعرفـة الوقـت، ولا يمكن لأحـدنـا الاستغناء عن الآخر.

– بل يمكن، سأمحوكن بمساعدة أبي وجدّي.

تنحنح الجدّ، وقال بهدوء.

– معك حق يا حفيدي، لابدّ من إزالتهن.

هزّ الأب رأسه، قال:

– أنا أنضـــمّ إليكما، فالعمل لنا، والشّـــكر لغيرنا.

وعبثاً حـاولـت الأرقـام اســـتعطـاف العقـارب، جرّبت أن تقاوم، لكنّها كانت تضـعف كلّما مرّ فوقها أحد العقارب، ماسحاً طبقة من لونها.

لم تدم المعركة طويلاً، فما أن حلّ الصّـــباح، حتّى اختفت الأرقام تماماً من فوق وجه السّاعة.

شعرت العقارب بالنّصر، فصارت تدور بسرعة كبرى. لكن.. ما حصل لم يكن محسوباً.

فبينما كانت العقارب ترقص فرحة، رنّ جرس الهاتف أفاق صـاحب البيت، وفور رفعه السّـماعة، جاءه صوت مديره.

- صباح الخير.

- صباح النور.

- هل أنت مريض؟

- لا.. لماذا؟

- لقد تأخّرت هذا اليوم، فالسّـاعة الآن التّاسعة والرّبع.

أرجع صـاحب البيت السّـمّاعة، نظر إلى ساعته مستاء قال:

- ما هذه السّـاعة.. أين اختفت الأرقام؟ آه.. لقد أصـبحت عديمة الفائدة، يالها من سـاعة

لا معنى لها.

ثمّ أمسكها –بعصبيّة– ونهض من الفراش.

أحسّـــت العقارب بأنّ شـــيئاً ما ســـيحدث لها، لكنّهـا.. وقبـل أن تفكّر في طريقـة لإعـادة الأرقـام، وجدت نفسها مرميّة في سلّة المهملات.

# العنكبوت والدّائرة

في غرفة صـغيرة، وعلى سـطح ورقة بيضـاء، عاش المثلث والمربع والدائرة بحب ووئام.

ذات صــباح، حدث أمرٌ تســبّب في نشــوب خلاف ومشــاجرة بين الأشــكال الهندســيّة الثلاثة، وهاكم ما حدث:

تســـلل عنكب طويـل الأرجـل إلى الغرفـة الصــغيرة،، تسـلّق الحائط قاصــداً إحدى الزوايا، ثمّ شرع ينسج خيوطه الدقيقة بمهارة ناسجاً شبكة لصيد الحشـرات، وفور انتهائه، ربط أحد خيوطه بالسّـقف،

وتدلّى متأرجحاً ولمّا وصل إلى حافّة النافذة، صاح:

– هيـه.. عنكبـة، تعـالي.. لقـد وجـدت لـك مكاناً تنسجين فيه شبكتك.

اقتربت العنكبة منه، قائلة:

– بالله عليك، هل وجدت المكان؟

– اقسم لك، انظري إلى السقف، هناك ثلاث زوايا فارغة.

ابتسمت العنكبة، وقالت:

– آه.. يالك من عنكب لطيف، لقد دخت وأنا أحاول أن أنســـج شـــبكتي على فم برميل، لكنّني لم أوفّق، بصراحة.. شكل الدائرة بشع.

امتعض العنكب، قال:

– لا تذكّريني أرجوك، فأنا أكرهها أكثر من المكنسة التي يكنسون بها بيتي.

هذا ما حدث صـــباحاً، والآن.. لنرجع إلى

الأشكال الهندسيّة كي نرى ما جرى.

فالدّائرة.. وبعد ســـماعها حديث العنكبوتين، شعرت بالضّيق، والتفتت إلى صديقيها قائلة:

– يــا للعنكبوتين الغبيّين، كيف يقولان إن شكل الدائرة بشـع؟ ألم يتذكّرا الشّمس والقمر، ألم يعلما أنّ الخطّ الذي يرسـمني ليّن وجميل وهو على عكس الخطوط المسـتقيمة القاسـية التي ترسم الأشكال الهندسية الأخرى.

انكمش المثّلث والمربع على نفسيهما، وصـاحا غاضبين:

– ماذا تفلسفت؟ الآن أصبحت الخطوط التّي ترسم أضـلاعنا قاسية لا تعجبك؟ إيه.. دنيا، أصبحتِ تتعالين علينا.

مسحت الدائرة وجهها، قالت:

– ســـــامحكمـا الله، أنـا لا أتعـالى على

أصـــــدقائي، ثمّ إنّني أعترف أمامكما بعدم امتلاكي لأيّـة زاويـة، ذلـك أنّني لا أملـك أضلاعاً في الأصل.

شعر المثلّث والمربّع بالزّهو، فنسيا صداقتهما للدّائرة وقالا ساخرين:

– طبعاً لا تملكين أضـــــلاعاً وزوايا، ونرجو ألاّ تؤاخذينا شكلك لا معنى له.

زعلت الدّائرة، احمرّ وجهها، أخذت نفســـــاً عميقاً، انتفخت قليلاً، وفجأة.. انسـلخت عن الورقة، مشكّلة بالوناً جميلاً يحلّق في فضاء الغرفة.

دهش المثلث والمربّع عند مشـاهدتهما البالون، وكـاد عقلهما يطق عندما ســـمعا العنكب ينـادي العنكبة قائلاً:

– هيه.. عزيزتي، متّعي عينيك بمنظر ذاك البالون الرّائع.

# الكهف

أشـرقت الشّـمس، فاغتسـلت البيوت والبسـاتين بالنور وطارت العصافير مغنّية نشيد الضيّاء.

انـدفع النّـاس إلى الحقول، ليســـتمتعوا بيوم الجمعة، وخرجت أسرة (أبي سميح) إلى الغابة.

قضـت الأسـرة وقتاً ممتعاً، فبعد الغداء، تمشـى الإخوة الثلاثة، ســـميح وفرحان ولبنى، غير بعيدين عن أبويهم، ينظرون إلى الصـــخور الرمـــاديـــة الضخمة، والأشجار الباسقة، والحشرات الغريبة.

فجأة.. شاهد فرحان كهفاً كبيراً، فصرخ دهشاً:

– انظروا إلى تلك الصخرة، إنّها محفورة.

ضحكت لبنى، قالت:

– هذا كهف يا فرحان، الإنسان القديم سكن هنا، هكذا قالت المعلّمة.

سأل فرحان:

– وماذا كانوا يأكلون؟

– ثمار الأشجار، جذور النّبات، لحم الحيوان.

– هل كان عندهم مسدّسات يصطادون بها؟

– لا.. لم تكن الأسلحة معروفة، كانوا يضربونها بالعظام، بالحجارة وبالعصي الغليظة، ثمّ يشوونها بالنّار ويأكلونها، شاربين بقرونها.

اقترب سميح من الكهف، قال:

– هيّا ندخل.. عســـى أن نجد قرن حيوان، فأنا عطشان، أريد أن أشرب.

أمســكت لبنى يد فرحان ودخلا، وما إن قالت –اسمعوا– حتّى ردّد الكهف صدى الكلمة:

– عو .. عو.. عو.

انفجر سميح ضاحكاً، نادى:

–لبنى.

ردّد الكهف:

–نا.. نا.. نا..

صاح فرحان بصوت عالٍ:

–عصفور

–فور.. فور.. فور.. فور.

بغتة.. قال فرحان:

–لماذا لا نمثّل حياة الإنسان القديم؟

نطّ سميح فرحاً، قال:

–فكرة حلوة، ولكن كيف؟

حكّت لبنى رأسها، قالت:

–أنا أمثّل دور الأم، فرحان ابني الصّغير، أمّا أنت يا سميح فتمثّل دور الوحش.

–وحش؟! لكنّني لا أحبّ أن أؤذي أحداً.

–أعرف.. إنّها لعبة فقط.

ثمّ خرجت من الكهف، وبدأت تجمع الأوراق الخضراء، وتعلّقها على خصرها.

سأل فرحان:

–ماذا تفعلين؟

ردّت لبنى:

–كان الإنسان قديماً يتستّر بالأوراق، لأنّ الأقمشة لم تكن معروفة

خلع فرحـان قميصـــــه، وركض يلمّ الأوراق، ويعلّقها على حزامه، لتشـــكّل زنّاراً أخضـــر، بينما مشى سميح على أربعٍ، مصدراً أصواتاً مخيفة.

أمســكت لبنى بيد فرحان، وركضــا إلى داخل الكهف.

تقدّم سميح نحو فرحان بطيئاً، قائلاً:

–هم.. هم، ســآكلك أيّها الصــغير، إنّ لحمك أبيض مثل الثلج.

صاح فرحان خائفاً:

–ماما.. ماما.. أنقذيني، سيأكلني الوحش.

مـدّت لبنى يـدهـا إلى جيبهـا، أخرجـت علبـة الكبريت التّي أحضــرتها مع مســتلزمات الرّحلة، ثمَ أشعلت عوداً، واقتربت من الوحش.

نفخ سميح على العود، فانطفأ.

صاحت لبنى غاضبة:

–يجب أن تهرب، فالحيوانات تخاف النّار.

استلقى سميح على ظهره من شدّة الضّحك، قال:

–هل أنا جبان حتّى أخاف من عود كبريت؟

سأل فرحان:

–والآن.. ماذا سنفعل؟

ردّت لبنى:

–انظر إلي.

ثمّ أمسكت قطعة فحم صغيرة، ملقاة على الأرض، وراحت ترسم على جدار الكهف رأس وحش، له أنياب طويلة، وفوق رأسه حجر كبير.

قال فرحان:

–لماذا ترسمين على الجدار؟

–اسمع يا فرحان.. جدّنا الإنسان لم يكن

يعرف الكلام، لذا كان يستعين بالرّسم.

بغتة.. سمعوا صوت أبيهم ينادي:

-أين أنتم يا صغار؟

ردّ سميح:

-نحن في الكهف.

دخل الأب، قال:

-ماذا تفعلون هنا؟

حكت لبنى لأبيها حكاية اللعبة، فضحك وقال:

-أعطني علبة الكبريت يا لبنى، لأنّ النار خطرة في الغابة.

ثمّ جلس على صخرة صغيرة، وأضاف:

-فعلاً.. كانت حياة الإنسان الأولى، قاسية وخطرة، لكنّه لم يستسلم، فظلّ يعمل ويتعب، حتّى وصل إلى الحضارة التي نعيشها الآن.

ابتسم الصّغار، وعرفوا أن الإنسان يصل إلى هدفه بالاجتهاد والعمل.

# الكلمات تسافر وحدها

باعد الكاتب بين سبّابته وإبهامه، تاركاً الظرف ذا الطّابع الملوّن يسقط داخل صندوق البريد الأحمر.

كان الظّلام دامساً داخل الصّندوق، حتّى أنّ الظّرف نسي وجعه بسبب سقوطه، وراح ينظر حوله خائفاً.

ورويداً.. رويداً، بدأ يرى ما حوله، نتيجة لتسلّل حزمة ضوئيّة من فتحة الصّندوق الضّيقة، فقد اكتشف أنّه ليس وحيداً، وإنّما يستلقي بجواره عشرات الظّروف.

شعر الظّرف بالسّعادة، وأحبّ أن يتعرّف على أصـــدقائه لكن.. وقبل أن يســـلّم على أحد، أحسّ بمغص، ففطن إلى أنّ جوّ الصّـــندوق بارد، وربّما كان ذلك هو السّبب.

والحقيقة.. أنّ المغص لم يكن بســـبب برودة الطّقس، وإنّما بسـبب الخلاف النّاشـئ بين الكلمات والأرقام على الأوراق السّت الموجودة داخل الظّرف.

وإليكم ما حدث بالضّبط...

كانت الأوراق السّت تتضمّن قصصاً قصيرة، وفي أســـفل كلّ ورقة رقم يدلّ عليها، لكنّ الكلمات انزعجن من الأرقام، وقلن لها غاضبات:

-غريب.. كيف ترضُـــون على أنفســـكن أن يجلس كلّ رقم بمفرده وسط مئات الكلمات!؟ أجبن.. ألا تستحين؟

انكمشت الأرقام على نفسها، قالت:

–نحن لســـنا ثقيلي دم، حتّى نجلس معكن بلا سبب.

–وما السّبب؟ تفضّلن أوضحن.

–الســـبب هو ترتيب الأوراق حتّى لا يختلط بعضها ببعض، فلا تعرف الأولى من الثّانية.

–ها.. ها، وتتفلسـفن أيضـاً، اسـمعن.. نحن نرتّب أنفسنا بأنفسنا دون حاجة لحضرتكن.

–لا تغلطن في حقّنـا، صـــحيح أنّ الأوراق ملأى بـالكلمـات، لكن الأرقـام مهمّـة، وكمـا يقول المثل: الحصاة تسند الجرّة.

–ما شاء الله، وتضربن الأمثال! هيّا.. اخرجن من غير مطرود فلا يمكننا السّفر معكن.

وعبثاً حاولت الأرقام إقناع الكلمات، ونظراً لقلّة عدد الأرقام، وكثرة عدد الكلمات، فقد اســـتطاعت الأخيرات دفع الأرقـام، وإخراجهـا من إحـدى زوايـا

الظرف الّتي لم تلصق جيّداً.

لم يطل سفر الظرف أكثر من أيّام، فقد رُدّ إلى مركز البريد محتوياً ورقة إضافيّة، كتب عليها:

الكاتب العزيز

نرجو أن ترقّم الأوراق، كي نستطيع قراءتها بالتّرتيب وتبعثها من جديد مع جزيل الشّكر.

في اليوم التّالي.. كان الظّرف ذو الطّابع الملوّن يستلقي سعيداً داخل صندوق البريد الأحمر، يكلّم أصدقاءه، يتعرّف منهم على وجهة سفرهم، وبالطّبع لم يشعر هذه المرّة بالمغص، فقد كانت الكلمات تحكي لأصدقائها الأرقام، قصّة سفرها الأولى.

# غرفـة الألعاب

دخـل أكثم إلى غرفتـه، فوجـد ألعـابـه مفكّكـة متناثرة.

–من فعل هذا؟! لابدّ أنّها أســـماء، فهي لا يهمّها إلاّ شـــرب الحليب من الرّضّـــاعة، وتفكيك لعبي، آه.. ماذا أفعل؟

وقف أكثم حائراً، حكّ جبينه بإصـــبعه، وراح يفكّر بحل.

فجأة.. خطرت له فكرة.

اقترب من الدّيك ذو الذّيل الملوّن، أمســـكه

بلطف، وقال باسماً:

–ديك.. ما رأيك بالسّـباحة، مؤكّد أنّك عرقان، فالجوّ حار، لا تشـغل بالك، لن تغرق، سـأضـع لك رأس بطّتي، إنّها تسبح بمهارة ورشاقة.

وخلال ثوانٍ، كـان للدّيك الملوّن، رأس أبيض ذو منقار عريض.

نظر الدّيك إلى أكثم غاضباً، صاح:

–واك.. واك، أريد رأسي، أنا لا أستطيع العيش بلا عرف أنـا لا أهوى السّـــبـاحـة، هوايتي إيقـاظ النّائمين، واك.. واك.

ضحك أكثم، وراح يتأمّل ألعابه من جديد.

كـان الأرنـب هو الاختيـار الثّـاني، فقد انتزع ذيله الصّـغير الذي يشـبه جوزة القطن، وثبّت مكانه ذيل الثّعلب الطويل.

–افرحْ، هذا يســمّى ذيلاً، هيّا.. ارفع رأســك،

وفاخر به رفاقك.

نصب الأرنب أذنيه محتجّاً، وقال:

–أريد ذيلي، أنا لا أستطيع القفز، ذيل الثّعلب كبير، أحسّ أنّني أجرّ ورائي عربة ثقيلة.

لم يستمع أكثم لكلام الأرنب، لقد أعجبته اللعبة، ها هو يمدّ يده صوب الكلب الجّاثم في ظل العربة.

أحسّ هذا بالخطر، لكنّه لم يتمكّن من الاختباء.

–آه يا كلبي العزيز، ما رأيك في أن أضع لك رقبة طويلة، لترى ما وراء السّور؟ إنّها ستساعدك على الحراسة.

نبح الكلب غاضباً، لكنّ نباحه لم يحمه من وضع رقبة الزّرافة له.

انقلب أكثم على ظهره من شدّة الضحك، حين

نظر إلى حيواناته قائلاً:

–ها.. ها، لقد شـــكّلت حيوانات عجيبة، لا مثيل لها في الدّنيا.

لم يستطع الكلب صبراً، زمجر في وجه أكثم، وهجم عليه ناسياً أنّ رقبته قد صارت طويلة جداً.

بغتة.. اصطدم رأسه بحافّة الطّاولة الصّغيرة، وسط الغرفة، فانخلعت رقبته، وارتمى أرضاً.

شـــعر أكثم بغلطه، اقترب من كلبه حزيناً، وشرع يعيد حيواناته إلى وضعها الطّبيعي.

لكنّه.. لحظة انتهائه، فوجئ بها تتركه مبتعدة.

أحسّ أكثم بالوحدة والضـــجر، جلس جانباً، وراح يفكّر بطريقة لمصالحتها ونيل رضاها.

# الطّوق الأزرق

قطّة رشا شقراء، لها طوق أزرق، واسمها لولو.

رشا تحبّ لولو كثيراً، وتدلّلها، فالبارحة غسّلتها في طست أحمر، ونشّفتها ثمّ رشّت عليها العطر.

وأوّل البارحة، خرجتا إلى الحديقة، هناك حيث الأراجيح والألعاب.

أمّا اليوم.. فقد تغيّرت طباع لولو، فهي تموء بصـــوت مزعج وتخمش رشـــا بأظافرها، وتقفز إلى الخزانة، حتى أنها كسرت زهرية ملأى بالورد.

غضبت رشا، نزعت الطّوق الأزرق عن عنق

قطّتها، ثم صاحت بها:

–لولو.. أنت مزعجة، أنا أدلّلك لأنني أحبّك، فيجب ألاّ تشتّطي كي لا أكرهك.

حزنت لولو، واختبأت تحت الخزانة.

بعد ساعة، أحضرت رشا صحناً مليئاً بالحليب، ونادت لولو قائلة:

تعالي يا شقراء.. لقد عفوت عنكِ.

نطّت لولو فرحة، واقتربت من صحن الحليب.

سحبت رشا الصّحن من أمام لولو، وقالت:

–لا يمكن أن تشربي الحليب، إلاّ إذا وعدتني بالهدوء وسماع الكلمة.

هزّت لولو رأسها موافقة، فركضت إلى خزانتها، وأحضرت الطوق الأزرق، ثمّ جلست تنتظر قبالة قطّتها، الّتي كانت تلعق الحليب بلسانها الصّغير، كي تعلّق لها طوقها الأزرق الجميل.

# الهـــاتف

دخل المعلّم الصّـف، أمسـك الطّباشـير، وقبل أن يكتـب عنوان الـدرس، خرج عـدنـان من مقعـده، وتوّجه إليه ممسكاً بيده ورقة وقال:

–تفضّـل يا أسـتاذ، خذ هذه الورقة، لقد وجدتها في درج مقعدي، وقد كتب عليها كلمات غير مؤدّبة!

أمســك المعلم الورقة، فتحها وقرأها في ســرّه، وعلامات الغضب ظاهرة على وجهه.

ســاد الصّــمت جّو الصــف، أفواه التلاميذ مفتوحة، قلوبهم تنبض بسرعة.

كسر المعلّم الصّمت بقوله:

–ضعوا دفاتر القراءة أمامكم، وافتحوها.

أخرج التّلاميذ دفاترهم، بينما راح المعلّم يتجوّل بينهم.

فجأة.. وقف عند مروان، أمسك دفتره، قارن بين خطّه في الدّفتر والخط في الورقة، ثمّ رمقه بنظرة قاسية.

خاف مروان، واحمرّت أذناه.

قلّب المعلّم صفحات الدفتر، وإذ بورقة مقطوعة.

وضع الورقة الّتي بيده مكان الورقة المقطوعة، فاكتشف أنها قطعت من هذا الدفتر.

انفجر مروان باكياً، وقال:

–السماح يا أستاذ، لن أكرّر ما فعلته.

أمسك المعلّم أذن مروان، قال:

-كم رقم هاتفكم؟

-خمس وأربعون.. صفر.. اثنان وخمسون.

أكمل المعلّم الدّرس، وانقضى اليوم الدّراسي، وانصرف التلاميذ إلى بيوتهم.

في ذاك اليوم، كان مروان على غير عادته، فما إن دخل منزله حتّى جلس قرب الهاتف ذي اللون البنّي، والخوف ظاهر في عينيه، كان ينظر كلّ مدّة إليه، فيشعر بأنّه يشبه ذئباً مفترساً.

تذكّر ما فعله مع صديقه عدنان، وراح يحدّث نفسه:

-لماذا فعلت هذا، عدنان تلميذ مجتهد، المفترض أن أجتهد كي أنافسه، لا أن أغار منه وأكتب له عبارات بذيئة.

عضّ مروان على أظافره بقوّة، كأنّه يؤنّب نفسه، فجأة رنّ جرس الهاتف، كاد قلب مروان يقفز

من بين ضـــلوعه كالأرنب، ركض إلى الهاتف، رفع السماعة، قال:

–الرقم غلط.. الرقم غلط.

لكنّه سمع على الطرف الآخر صوت عمّته.

–الحمد لله.. إنه ليس المعلم.

هكذا قال مروان، وزفر بقوّة، مصـــدراً صـــفيراً ممطوطاً.

–عفواً عمّتي، لم أميّز صـــوتكِ، ســـأنادي لك أمّي، إنها في المطبخ.

بعد قليل، وما إن انتهت المكالمة، حتّى عاد الرّعب يدب في قلب مروان، كأنّه النّمل.

وبينما هو في حيرة، يمشـــي جانب الهاتف بخطوات تائهة، إذ رنّ جرس الهاتف، رفع السّمّاعة، وقـبـل أن يـكـمـل كـلـمـة "آلـو" جـاءه صوت معلّمه:

–مروان.. أرجو أن تكون قد أحسست بغلطك، أنت تلميذ مهذّب ويجب أن تبقى كذلك.. وداعاً.

أرجع مروان السّـــمّاعة إلى مكانها، نظر إلى قرص الأرقام فبدا لـه كأنّه وجه مدوّر، لكنه عابس.

فكّر قليلاً، رفع السّـمّاعة، واتصـــل بصـــديقه عدنان.

ومع كـلّ كلمـة اعتـذار، كـان قرص الهـاتف يتحول إلى وجه مبتسم وضاحك.

# فِراش من ريش

في غابة كثيفة الأغصـان، اختبأ صـيّاد خلف جذع شـجرة كبيرة مصـوّباً فوّهة بندقيّته نحو طائر جميل، يشدو على غصن قريب.

أغمض الصّـيّاد إحدى عينيه، كي يحسـن التسديد، واضعاً إصبعه فوق الزّناد.

حزن الزّناد على مصـير الطّائر، فهمس في أذن الطلقة، قائلاً:

–طلقة.. اسمعيني، الآن سيضغطني الصّياد بإصبعه، وبالتالي سأنقرك، فأرجو ألاّ يشتعل البارود

في جوفك، لأنّه سيدفع المقذوف، ويقتل ذاك الطّائر البريء.

استاءت الطّلقة من كلام الزّناد، وقالت:

-كيف لا أشتعل، ومقذوفي متلهّف كي يقتله؟

-ولماذا يقتله؟ ألا تسمعين صوته العذب؟!

-أنا لا أطرب إلاّ لأصوات الانفجارات!!

فجأة.. ضغط الصّياد على الزناد، فحاول أن ينقر الطّلقة بلطف، وما إن مسّها حتى اشتعل بارودها، وانطلق مقذوفها بسرعة البرق، مصدراً صوتاً مرعباً.

ولحسن الحظ، لم يقتل الطّائر، إنّما سقطت منه بضع ريشات على الأرض.

أخرج الصّياد الطلقة الفارغة، ورماها على الأرض بنزق ثمّ مضى يبحث عن صيد جديد.

كانت الطّلقة ساخنة، فصارت تشعر بالبرد،

لأنّ ضميرها بدأ يعذّبها.

لقد آذت الطّائر من دون ذنب، والنتيجة أن رماها الصّياد كما يرمي الأطفال أكياس مأكولاتهم الفّارغة.

بغتةً.. شاهدت ريش الطّائر، فزحفت نحوه بصعوبة وعندما وصلت، استلقت فوقه، وشعرت بالرّاحة.

أخذت الطّلقة نفساً عميقاً، وقالت:

-الله.. ما أحلى الطّبيعة، فمنذ أن تخلّصت من البارود، ذهب عني الحقد، وحل محلّه الحب.

# الكــرة الأرضيّــة

دخلت سمر غرفة والدها، شاهدته يجلس خلف طاولته، يقرأ في كتاب.

اقتربت منه قائلة:

-بابا.. هل تأخذني إلى الحديقة العامّة؟ اليوم جمعة، والنّهار جميل.

نظر الأب إلى صغيرته مبتسماً، قال:

-سـآخذك يا عصـفورتي، اصـبري قليلاً ريثما أنهي قراءة الصّفحتين المتبقيتين.

فرحت ســـمر.. وراحت تتأمل الأشـــياء فوق

الطّاولة.

شــاهدت أوراقاً بيضــاً، وعلبة تلوين شــمعيّة، أقلاماً موضـــوعة في علبة جلديّة، وكرة أرضـــيّة صغيرة، يخترقها محور، مثبّت على قاعدة معدنيّة.

اقتربت من الكرة، وبدأت تديرها مندهشة.

كـانـت الكرة تحوي مســـــاحـات ملونـة بـألوان مختلفة، عليها خطوط وأسماء كثيرة.

سألت سمر:

-ماذا تسمّى هذه الخطوط؟

أغلق الأب الكتاب، قال:

-لكل خط اسم، هذا خط الاستواء، وأشار إلى وسط الكرة وهذان مدارا السّرطان والجدي.

-طيّب.. لماذا يشــغل اللون الأزرق مســاحة كبيرة؟

-لأنّــه يرمز إلى البحــار والمحيطــات، إنّهــا

تشكّل ثلاثة أرباع مساحة الكرة.

–آه.. تذكّرت، ألن تأخذني إلى اللاذقية في الصّيف؟

–طبعاً، شرط أن تتالي المرتبة الأولى.

–اطمئن.. أنا مجتهدة، لكن.. أين هي اللاذقية؟

قرّب الأب رأسه من الكرة، أمسك قلماً وأشار به إلى مساحة ملوّنة بالبنّي، قال:

–هذا قطرنا، وتلك مدينة اللاذقيّة.

أخذت سمر نفساً عميقاً، كأنّها تخيّلت نفسها أمام البحر ثمّ سألت:

–أين لبنان؟

أشار الأب إلى مساحة بنفسجيّة اللون.

–أين مصر؟

-ها هي.. إنّها باللون الأصفر.

قطّبت ســـمر جبينها، انحنت على الطاولة، واضــعة كفّيها الصّــغيرتين على خدّيها، كأنّها تفكّر بـأمر مـا، بينمـا توجّـه الأب إلى غرفـة النّوم ليلبس ثياب الخروج.

بعد قليل، نـادى صـــغيرتـه، كي يـذهبـا إلى الحديقة، لكنّه لم يسمع ردّاً!

فتح بـاب غرفتـه، فوجدهـا تلوّن الوطن العربي بقلم الشّـــمع الأخضـــر، وترســـم أراجيحَ وزهوراً وعصافير.

ضحك الأب، قال:

-أرى أنّك نقلت الحديقة العّامّة، إلى ســـطح الكرة.

ابتسمت سمر، قالت:

-أنا أحبّ أن ألعب مع كلّ الأطفال العرب.

مسح الأب شعر صغيرته بحنان، وقال:

-أرجو أن تكملي تلوين الكرة، لأنني أحب أن تلعبي مع كلّ أطفال العالم.

# جبل السّكر

جلس أحمد تحت الدَّالية، المحمّلة بعناقيد العنب، يرقب النّملات اللاتي يمشين في رتل مستقيم.

فجأة.. لمعت في ذهنه فكرة!!

نطّ على الكرسي، قطف حبّة عنب كبيرة، رماها باتّجاه الرَّتل، فتدحرجت كالكرة، وتوقّفت بجانب النّمل.

اقتربت منها "نموّلة" صغيرة، دارت حولها، كأنّها تتفرّج على تمثال ثمّ عضّتها وبدأت تشدّها،

فلم تستطع تحريكها.

ذهبت "نموّلة" إلى صـــــديقاتها، وهي تتلمّظ الحلاوة، قائلة:

. اتبعنني.. لقد وجدت كنزاً.

. ماذا.. كنز؟!!

. أجل.. أجل، جبل كبير، مملوء بالسّكّر!

ركضـــت النّملات خلفها، وعندما وصـــلن، لم يجدن شيئاً، لأنّ أحمد كان قد التقطها.

نظرت النّملات إلى "نموّلة" وقلن لها:

. أين جبل السّكّر.. يا كذّابة؟

ثمّ تركنها، وابتعدن.

بقيت "نموّلة" في المكان، تروح وتجيء،، لأنّها شـــاهدت حبّة العنب بعينيها، ولمّا يئســـت قرّرت الرّجوع، فأدارت ظهرها ومشت لكنّ أحمد وضع حبّة العنب مرّةً ثانية.

بغتة.. التفتت خلفها فرأت الحبّة.

دهشـــت... "نمولّة" فأســـرعت إلى رفيقاتها، تسألهنّ الرّجوع.

تردّدت النّملات مدّة قصيرة، ثمّ سرن خلفها.

ويـاللعجب... كـان مكـان الحبّـة فارغـاً، تلفتت "نموّلة" يمنة ويسرة وهي تبكي وتقول:

. والله.. كانت هنا، أنا لا أكذب.

لم تصـــدّق رفيقاتها كلامها، فهجمن عليها، وعضضنها، وهنّ يقلن:

. هذا جزاء كذبك..

حزن أحمد على "نموّلة"، وعرف أنّ مزاحه كان ثقيلاً، لذا وضع حبّة العنب أمامهن.

توقّفت النّملات عن عضّ "نموّلـة" اقتربن من حبّة العنب ومصصنها، ثمّ قلن:

ـــ نحن آسفات، كلامك صـحيح، إنّ طعمها

حلو كالسّكرّ.

اجتمعت النّملات حول الحبّة، وبدأن يجررنها إلى جحرهن لكنّ "نموّلة" اعترضّتهن قائلة:

ـــــ دعنها في مكانها، فلا حاجة لنا بها، وإن كانت جبلاً من السّكّر.

ثمّ نظرت إلى أحمد غاضـــبة، ومضـــت مع صديقاتها إلى الرّتل...

# الظّلّ المخيف

مع بزوغ الشّمس، مطّ فرخا الدّوري رقبتيهما ، وزقزقا فرحين.

اليوم... سيتركان عشّهما الصغير، في أحد شقوق الحائط، ويطيران إلى الفضاء الكبير.

حطّ الأبوان على غصن شجرة ليمون قريبة، قائلين:

ـ الطّيران شيء حلو، لا شيء ألذّ منه، ستريان بنفسيكما، يا الله... لا تتردّدا، حرّكا جناحيكما..

نظر الفرخان إلى ساحة الدّار، كأنّهما يودّعان

بركة الماء الصـــغيرة وشـــجرة الياســـمين، والأطفال الّـذين كـانوا يغنّون كـلّ يوم، ثمّ حرّكـا جنـاحيهمـا، وطارا إلى غصن اللّيمون بنجاح.

ابتسم الأبوان، قالا:

ـــ أحسنتما يا بطلان، استريحا قليلاً، ثمّ طيرا إلى تلك المدخنة فوق السّطح.

نظر الفرخ الأكبر إلى المدخنة باستياء، وقال:

ـــ إنّها قريبة جدّاً، سأطير إلى تلك القضبان المعدنيّة.

شهقت الأم، قالت:

ـ اخزِ الشّيطان، أنت تتكلّم عن هوائي التّلفاز، إنّه بعيد، وجناحاك ضعيفان.

نفش الفرخ الأكبر ريشه، قال:

. لا تشغلا باليكما، أنا قوي.

وقبل أن يسمع ردّاً، حرّك جناحيه وطار.

بغتة.. اصـــطدم بحبل غســـيل، وســـقط على أرض الزّقاق.

طار الأبوان إليه ملهوفين، فرأياه يئن ويتوجّع:

ـــــ آخ... جناحي جرح، رأسي صدع، ريشي نتف!!!

احتار الأبوان، حاولا حمله قبل أن يلتقطه أحد الأطفال لكنّهما لم يستطيعا.

فجأة... ظهر قطّ كبير من أوّل الزّقاق، طار الأبوان، وحطّا على نافذة قريبة، بينما جمد الفرخ في مكانه كالتّمثال.

لمح القط فرخ الدّوري، لحس شـــفتيه بلســـانه، وبدأ يجرّ قوائمه بهدوء وحذر.

حينئـــذٍ.. أخـــذ الأبوان يرتجفـــان، ويزقزقـــان مستغيثين.

ســـــمعت عصـــــافير الدّوري الزّقزقة، فهرعت

إليهما.

بعد معرفتها القصّــة، راح كل عصــفور يقترح حلاً:

قال أحدهم:

. لنطر مبتعدين، ونسلم بريشنا.

عارضه الثّاني:

. نحن لسنا جبناء، سنرجمه بالحصى.

سخر الثّالث، وقال:

ـــــ حلوة والله، سيحسب القطّ حصاك مطراً ناعماً..

قال الرّابع:

. إذاً... لابدّ أنّه هالك، وهذا جزاء من لا يسمع كلام أبويه.

انتفض الأب، قال:

ـــ لا تضيعوا الوقت.. اسمعوا... إنّ الشّمس ترســـل أشـــعّتها الأولى، وهذا يعني أنّنا إذا وقفنا أمامها، ارتسـم ظلّنا على أرض الزّقاق، لذا يجب أن نطير في الهواء، على شـكل حيوان مخيف ليرتسـم ظلّه أمام القط، فيخاف ويهرب.

وبسرعة البرق... طارت العصافير على شكل كلب كبير.

ذعر القط عندما رأى أمامه خيال كلب يتحرّك، فهرب مســـرعاً، هبطت الأم إلى فرخها المجروح، وحملته بمســاعدة أصـدقائها، وما أن وضـعته على غصن شجرة الليمون، حتّى لفّ أخاه بجناحيه السّليم وراحا يتعانقان مسرورين...

# مدينة الحروف

ذات صباح... سمع الطّائر الملوّن ذو المنقار المعقوف، عن مـدينـة ملأى بـالحروف، تقع خلف البحيرة، فرفرف بجناحيه، وطار قاصداً تلك المدينة.

البحيرة.. على الرّغم من صـــغرها، بدت لـه كبحر كبير، لكنّه ظلّ يطير ويجدّ في الطّيران إلى أن لمح على الشّـــاطئ المقابل، بوّابة حجريّة كبيرة، نقشـــت عليها حروف كثيرة، وأمامها وقف ألِفان باستعداد واضعين على رأسيهما همزتين كبيرتين.

حطّ الطّائر تحت البوّابة، حيّا برأسه الحرفين، ودخل ماشياً.

كانت الأحواض على طرفي الطّريق، مزروعة بالنّباتات، إلاّ أنّ أشـكالها لم تكن عادّية، فقد التفّت على بعضـها بليونة، مشـكّلة حروفاً جميلة، كالواو والصّاد والهاء..

وفجأة.. وجد نفسه أمام ساحة كبيرة، مفروشة بالزّهور مملوءة بالألعاب..

وقف الطّائر دهشـاً، يتأمّل الحروف الّتي تلعب بمرح، فحرفا الجيم والخاء جالسـان على حصـان التّوازن، حرف النّون قاعد على الأرجوحة، يدفعه حرف الواو برأسه الكبيرة، حروف الباء والتّاء، والثّاء، أمسكن بأذيال بعضهنّ البعض وركضن مشكّلات قطاراً، حرف الياء نزل إلى بركة الماء، وراح يسـبح كبطّة تتبعه ياءات صـغيرة كأنّها الفراخ، أمّا بقيّة الحروف، فقد اختارت نقطة كبيرة، وراحت تركلها كأنّها تلعب بالكرة.

سُرّ الطّائر الملوّن من هذا المشهد، وأحبّ أن

يشاركهم اللعب لكن كيف... وهو لا يعرف اسم أيّ حرف منهم؟

بغتة... سمع صوتاً ينادي:

ـ هيه.. طائر،، لماذا تقف وحيداً؟ تعال والعب معنا.

التفت الطّائر الملوّن، شاهد حرف الياء ينشّف جسمه المبتل بمنشفة صغيرة، قال:

. شكراً لك، لكنّني غريب، ولا أعرف أحداً.

ـــــ هذه ليست مشكلة، اسمي ياء... صديقك ياء.

. ياء.... ياء، أهلاً وسهلاً، تشرّفنا.

ـــــ زادك الله شـرفاً، تفضّـل كي أعرّفك على أصدقائي.

ســـار الطّائر، خلف حرف الياء، متوجّهاً إلى وسط السّاحة حيث اجتمعت الحروف حولهما.

. سأذكر لك أسماء أصدقائي التّسعة والعشرين، حسب التّسلسل، هذه صديقتنا الهمزة.

. همزة... همزة... يا مرحباً.

. وهذا صديقنا حرف الألف.

ـــــ ألِف... ألِف... ألِف، ماشـاء الله، طولك يذكّرني بشجرة السّرو.

ابتسم حرف الألف، قال:

ـــــ فعلاً أنا طويل، حتّى أنّ البعض يصـفني بالمتكبّر، لكنّني لا أزعل منهم، لأنّهم يمزحون معي، بصـــراحة.. أنا متواضـــع وخجول، على الرّغم من وقفتي الشّامخة، إذ لا يمكن أن أنحني كي لا أصبح لاماً.

ربّـت حرف اليـاء على ظهر حرف الألف بلطف، وقال:

ـــــ حقاً.... حقاً، والآن لنتابع التّعارف، هذا حرف الباء

يليه حرف التّاء، الثّاء، الجيم، الحاء، الخاء، الدّال، الذّال، الرّاء، الزاي، السّين، الشّين، الصّاد، الضّاد، الطّاء، الظّاء، العين، الغين، الفاء، القاف، الكاف، اللام، الميم، النّون، الهاء، الواو، وأخيراً حضرتنا حرف الياء، وبالطّبع... هناك حروف كثيرة مكرّرة تلعب معنا...

صافح الطّائر الملوّن الحروف، وراح يلعب معهم، يناديهم بأسمائهم، يطير بهم، ثمّ يرجعهم وقد علت ضحكاتهم.

كان الوقت يمرّ سريعاً، والشّمس تختفي ببطء خلف التّلّة البعيدة...

استأذن الطّائر أصدقاءه بالذّهاب، بعد أن شكرهم على لطفهم وفصاحتهم، وقبل أن يرفرف طائراً، صاح حرف الباء:

. تمهّل أيّها الطّائر الرّائع، لا يمكن أن تغادرنا قبل أن نطلق عليك اسماً، نتذكّرك به كلّما لعبنا.

رحّبت الحروف بالفكرة، وتقافزت تريد أن يحتوي الاسم عليها، لكنّها في النّهاية، خضعت لإلحاح حروف الغين والألف والهمزة، أمّا حرف الباء، فقد اشترك مرّتين لأنّه صاحب الفكرة.

وسرعان ما وقفت الحروف الخمسة بجانب بعضها، مركبّة كلمة ببغاء.

انبسط الطّائر الملوّن ذو المنقار المعقوف من اسمه الجديد فصفّق بجناحيه قائلاً:

ـــ ببغاء.. ببغاء، اسم جميل، نعم.. إنّه اسم رائع، ببغاء.. ببغاء.

ثمّ ودّع أصدقاءه وطار، بينما اصطفّت بقيّة الحروف مؤلّفة..عبارة

إلى اللقاء أيّها الببغاء الجميل...

# الطّوابع المسافرة

هواية هدى... جمع الطّوابع البريديّة.

فما أن تحصل على ظرف رسالة، حتّى تمسك المقصّ الصّـــغير، وتبدأ بقصّ الورق حول الطّابع، محافظة على أطرافه المســـنّنة ، ثمّ تلصـــقه على إحدى صفحات دفتر صغير، مخصّص للطوابع.

اليوم... كان يوم السّـــعد بالنســـبة لهدى، فقد اشـترت طابعاً جديداً، ولصـقته على آخر صـفحة، منهية الدّفتر، بعد طول انتظار.

الطّابع الجديد، وبعد لصّـــقه مباشـــرة، شـــعر

بالضّيق، لأنّه حرم من متعة السّفر إلى أيّ بلد على عكس ماكان يحلم...

فجأة... سمع حواراً بين طابعين:

. أخبرني أيّها الصّديق، إلى أيّ بلد سافرت؟

ـــــ إيه.. سؤالك يذكّرني بأحلى أيّام حيّاتي، سافرت يا صديقي إلى مصر بلد الأهرامات وأبي الهول، أتصـــدّق... أحلم الآن بأنّني جالس على ضـــفّة نهر النّيل، أتفرّج على المراكب الجميلة، وأنت... أين سافرت؟

ـــــ بصـــراحة.. أنا محظوظ أكثر منك، فقد سافرت إلى السّعودية ولحسن حظّي، كان وصولي أثناء تأدية فريضـــة الحج... الله... مشـــهد ينعش القلب، أنالك الله حجّة، كي تغســـل ذنوبك بالعبادة، وتحلّي فمك بالتّمر.

دهشّ الطّابع الجديد عند ســـماعه الحديث،

التفت إلى طابع بجانبه، يسأله:

. وأنت... هل سافرت؟

ـــ طبعاً... وما طعم الحياة بلا سفر؟ اسمع.. منذ عام، أي قبل لصـــقي بشـــهرين، ســـافرت إلى ســـوريا، دخلت الجامع الأموي الكبير ذا المآذن المتعدّدة، وزرت قلعة حلب، إحدى أكبر قلاع العالم، ولم أنسَ المرور بإدلب، حيث اكتشـــفت فيها أقدم حضارة في العالم... حضارة إيبلا..

وقبل أن ينهي الطّابع حديثه، شـــمّ الطّابع الجديد رائحة عطرة، التفت جانباً، شاهد طابعاً كبير الحجم، ملوّن الرّسوم، فسأله:

. هل تنبعث هذه الرائحة منك؟

نظر الطّابع الكبير نحوه مستغرباً، قال:

ـــــ الظّاهر أنّك جار جديد، طبعاً منّي، الكلّ يعرف ذلك!

. ومن عطّرك؟

ـــ من عطّرني؟ تعطّرت في بلد العطور، في فرنســـا، وبعدها توجّهت وأنا بكلّ أناقتي إلى برج إيفل، البرج الشّهير، لقد صعدت إلى أعلاه، ونظرت، أوف...أوف، منظر يسـحر العقل، كان الوقت ليلاً، والمدينة تتلألأ كصـــندوق جواهر، أمّا نهر السّـــين، فكان يراقص تلك الأضـــواء، محوّلاً إيّاها إلى لوحة فنية باهرة، لكن.. قل لي، إلى أين سافرت أنت؟

ـــ بصراحة.. أنا لم أسافر إلى أيّ بلد، لكنّني على الرّغم من ذلـك، أســـتطيع أن أحـدّثـك عن الأهرامات المصريّة، والكعبة المشرّفة وإيبلا... وبرج إيفل...

# حفلـــة تتويـج

جمال القاعة الليلة، لا يخطر على بال.

فالثريّات تتلألأ متدلّية من السّـــقف ذي القبّة الكبيرة، السّـــتـائر المخمليّـة ذات اللون الفيروزي، تنسـدل بأناقة مغطّية النّوافذ الواسـعة، الرّخام الأسـود الصّـــقيل، يعكس رقصـــات الأشـــعّة المنبعثة من الثّريات، أمّا المقاعد الخشبيّة المزّينة بزخارف نباتيّة، فهي أشبه بكراسي الملوك.

هذه القاعة، سـتشـهد الليلة حفلة من نوع نادر، حيث ستنتخب الحروف الأبجديّة ـ ولأوّل مرّة ـ ملكاً

للجمال.

دخلت حروف الأبجديّة الثمّانية والعشـــرون القاعة، جلســـت في المقاعد الثّمانية المتتالية، والمرتّبة كما يلي:

المقعد الأوّل تجلس عليه الحروف المجتمعة في لفظة: أَبْجَدْ، المقعد الثّاني: هَوَّز، الثّالث: حطِّي، الرّابع: كَلَمُنْ، الخامس: سَعْفَصْ، السّادس:قَرَشَتْ، السّابع: ثَخَذٌ، والثّامن، ضَظَغٌ.

كانت الحروف تبدو غاية في الجمال، فالثّياب أنيقة، والرّوائح عطرة، والابتسامات عريضة.

وبينما كانت الحروف تتجاذب أطراف الحديث، تقدّم قلم الحبر الأســـود، ذو الغطاء المذهّب، من الطّاولة الصّغيرة المستديرة، وبدأ حديثه قائلاً:

. أبنائي الأعزّاء، طاب مساؤكم.

بصـــراحة... كنت لا أنوي المجيء، فأنا منذ يومين أعاني من وعكة صـــحيّة، لأنّ صـــاحبي .

سامحه الله ـــ غيرّ نوع الحبر الّذي يحقنني به كلّما جففت، لكنّني ســـمعت من الثّناء العاطر على أخلاقكم وحســـن معاملتكم، ما شـــهّاني المجيء لرؤيتكم، فأنا على يقين من أنّي سأشفى قبل انتهاء الحفلة، كما ســـيكون لي في هذا اللقاء مجال لأن أتنوّر بعض الشّيء بآرائكم وأحاديثكم..

أعزّائي...

اليوم ســـننتخب ملكاً للجمال، صـــحيح أنّها مسألة صعبة، خصوصاً عندما أنظر إلى وجوهكم الرّائعة، ومع ذلك... ولا أحلى من أن نتوّج ملكاً فالتّاج موجود، وهو بانتظار الملك...

والآن.. من منكم يحبّ أن يرشّح نفسه؟

رفع حرف الألف يده، تلاه حرف الثّاء، فالضّاد، وأخيراً الواو.

ـــ إذاً.. المرشّحون أربعة، تفضّلوا لو سمحتم، قفوا أمام زملائكم. خرجت الحروف الأربعة، ووقفت

بجانب الطّاولة الصّغيرة المستديرة.

نظر القلم إلى الحروف الجالسة، قال:

. لنبدأ التّصويت، من ينتخب حرف الألف.

ارتفعت أيادي الحروف بالكامل.

ـــــ ماشـاء الله.... أرى إجماعاً، الظّاهر أنّك حرف محبوب، طيّب... من ينتخب حرف الثّاء؟

ومرّة ثانية ارتفعت الأيادي كلّها.

. عال... عال، لننتقل إلى حرف الضّاد.

وللمرّة الثّالثة انتُخب حرف الضّـــاد بالإجماع، وهذا ما حصل مع حرف الواو.

وقف القلم حائراً، مفكّراً بطريقة يســـتطيع من خلالها انتخاب ملكٍ للجمال.

فجأة... وقف حرف الهاء، قائلاً:

ـــــ سيّد قلم، أرى أن تنتخب أنت أيضاً، فربّما رجّح صوتك كفَّة أحد الحروف.

حكّ القلم رأسه، وقال:

ـــ هذا والله صحيح، ماكان ليخطر لي لولاك، لكن... لمن أُصَوِّت؟

فحرف الألف هو أوّل حروف الهجاء، طوله ملفت للنظر، ويضع على رأسه همزة جميلة.

الثّاء... أحد الحروف اللثّويّة، إضـــافة إلى الذّال والظّاء، لـــــه ثلاث نقط جميلة، تبدو وكأنّها زهرّات.

الواو... حرف جميـل على الرّغم من عـدم احتوائـه على أيّـة نقطـة، فيكفيـه فخراً أن كلمـة ورد تبدأ به...

أمّا الضّـاد... فهو إضـافة إلى نقطته الجميلة الّتي تشـــبه الشّـــامة على الخد، يعدّ من أعصـــى الحروف العربيّـة نطقـاً على غير العرب، ولهـذا سمّيت العربيّة لغة الضّاد.

كانت الأحرف تتبادل النّظرات الحائرة منتظرة

النّتيجة، بينما أطرق القلم مفكّراً، لكنّه لم يلبث أن رفع رأسه مشيراً إلى حرف الضّاد.

صفّقت الحروف بحرارة، مؤيّدة رأي القلم، بينما وقف حرف الهاء ثانية، يقول:

ـــ سيّد قلم، انتهينا من المركز الأوّل، لكن... من سيفوز بالمركزين الثّاني والثّالث.

وهنا برزت مشكلة جديدة، فهناك حرف يجب عليه الخروج من المسابقة.

بغتة.. قال حرف الثّاء مخاطباً القلم:

. أرجو أن تسمح لي بالانسحاب.

. لماذا؟

ـــ لسببين: أولاً... نطقي صعب، فهو يحتاج إلى إدخال رأس اللسان بين الأسنان.

ثانياً.. أحبَّ أن أعطي فرصة الفوز لأصدقائي.

هزّ القلم رأسه مبتسماً، قال:

ـــ حيّاك الله، أنت شهم، لكن... قبل أن ترجع إلى مكانك، أكلّفك بكلّ ودّ أن تحدّد الفائز الثّاني والثّالث.

نظر حرف الثّاء إلى صـــديقه، وقال مخاطباً حرف الواو:

ـ أخي العزيز، يقولون... الطّول ثلثي الجمال، ما رأيك أن تمنح أخاك الألف المرتبة الثّانية؟

ابتسم حرف الواو، قال:

ـــ عمرك أطول من عمري، والله كنت سأقول عبارتك، لكنّك سبقتني.

صفّقت الحروف بحرارة للفائزين الثّلاثة، وراحت تغنّي واضعة التّاج على رأس حرف الضّاد.

# خطّ التماس

فرر...ر.....ر.....ر.

هكذا انطلقت صفّارة حكم السّاحة، معلنةً بدء المباراة.

الفريقان يركضـــان خلف الكرة، هذا يركل.. وذاك ينطح، هذا يحاور... وذاك ينطّط..

التّلاميذ يهتفون مشجّعين فريقي مدرستهم:

. اركل.. اركل، المرمى مفتوح.

. صفوان.. غطِّ الجناح الأيسر.

. طبّقوا مصيدة التسلّل.

المباراة حامية، فالفريق ذو اللباس الأحمر، يتميّز بلياقته وحسن مناورته، أمّا فريق اللباس الأزرق، فمعروف بهجماته السّريعة وقوّة تسديداته.

الكرة تنتقل من قدم لقدم، وحكم السّاحة يرافقها كظلّها.

فجأة.. وبينما كان سامر داخل منطقة الجزاء، يسدّد باتّجاه المرمى، اعترضه حمدي معرقلاً، فوقع سامر صائحاً:

. الحقوني... أحسّ ساقي كسرت.

صفّر حكم السّاحة، تفحّص ساق سامر فوجدها مصابة، مدّ يده إلى جيبه، وقبل أن يُخرج البطاقة أحسّ بتلبّك واضطراب، فاللاعب الذي ارتكب الخطأ هو زميله الذي يجلس معه في مقعد واحد.

كانت أصوات الجمهور تتعالى:

. بطاقة حمراء.

. ضربة جزاء..

وحمدي يقف أمام الحكم.. أمام صـديقه ماجد، ينظر إليه نظرة توسّل وعطف

والجمهور ينادي:

-بطاقة حمراء.. بطاقة حمراء

ماجد يتذكر لحظات صـــــداقته مع حمدي، الدراسة، اللعب، المناقشة و..

وأصوات الجمهور ما تزال تتعالى:

-جزاء.. جزاء.. جزاء..

ماجد ينظر إلى ســامر الذي يتلوى من الألم، يحتقن وجهه يغمض عينيه، بينما تمســك أصــابعه البطاقة بعصبية.

الزّمن يمضي.. الجوّ يتوتّر

حمدي يقترب من سامر .. يقبّله.

سامر يهدأ قليلاً..

حمـدي يمســـــك بـالكرة، يثبتهـا في المكـان المخصّـــص لركلات الجزاء ويهرول خـارجـاً من الملعب.

ماجد يفتح عينيه رافعاً البطاقة الحمراء

حمدي على خطّ التماس

ماجد يركض نحوه معانقاً، الدّموع تنهمر من عينيهما

الجمهور يصفق

الجمهور ينسى الكرة

والملعب يزداد اخضــراراً، متحوّلاً إلى ســاحة محبّة.

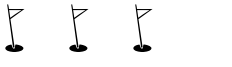

# حروف من خشب

خرج التلاميذ إلى ساحة المدرسة، يتقافزون كالأرانب، بينما انزوى وحيد جانباً ليجلس على مقعد حجري، تحت شجرة السرو.

اقترب منه صديقه فرحان، وقال:

–ما بك يا وحيد، لماذا لا تلعب مع رفاقك؟

احمرّ وجه وحيد خجلاً، ولم يعرف بمَ يجيب.

أضاف فرحان:

تعال يا صديقي.. والعب معي، فأنت دائماً تجلس بمفردك، لا تكلمّ أحداً، ولا تلعب مع أحد.

انكمش وحيد على نفســـه، وخبأ رأســـه بين ركبتيه!؟ جلس فرحان بجانبه، ربت على كتفه برفق، قائلاً:

–وحيـد.. رفـاقـك لطفـاء، ويتمنون أن تلعـب معهم وتمزح، حاول أن تتعرف عليهم وتكلّمهم، لأنّك ستشعر بسعادة كبيرة.

نظر وحيد إلى فرحـان محـاولاً الكلام، لكنّـه تلعثم، وبقي صــامتاً. تضــايق فرحان من صــديقه، فتركه وذهب يلعب مع أصدقائه.

أمضـى وحيد بقية الدروس، منطوياً على نفسـه كعادته، ولمّا رجع إلى البيت، أكل بضـــع لقيمات، واندسّ في فراشه.

في المنام.. رأى وحيد فمه قد تحوّل إلى بئر كبيرة، بينما وقف فرحان على حافتها، وأنزل حبلاً، ربط في نهايته حديدة معقوفة لينتشـــل بها حروفاً خشــبية من جوف البئر، كي يرتبها، ويشــكّل منها

جملاً وعبارات.

أفاق وحيد خائفاً، وهو يقول:

– دعني يا فرحان، أنا سـأتكلم بمفردي، ولن أخجل بعد اليوم.

# أمام المرآة

اشترى والد علاء، لابنه ذي السنوات الخمس، قبعة حمراء. حطّ علاء القبعة على رأسه، وركض إلى غرفة نوم والديه ليتفرج عليها أمام المرآة الكبيرة.

في الممرّ.. داس على ذيل قطته الشـــقراء، فنطت وصاحت:

– مياووو.

ثم ركضت خلفه .

وقف علاء أمام المرآة، فرأى نفسـه يشـبه رجل الإطفاء، الذي شاهده في التلفاز قبل يومين.

نظر حوله، فلمح أخته الصغيرة هدى، مستلقية في السرير، تشرب الحليب من الرضاعة.

اقترب منها بهدوء واختطف الرضـــاعة، ثمّ بدأ يرجّها، ويرش نقط الحليب على الأرض.

انفجرت هدى باكية، فحضـرت أمّها لتسـكتها، لكنّها فوجئت بتصرّف علاء فسألته غاضبة:

– ماذا تفعل أيّها الشقي؟

– أنا أطفئ النار.

– وأين هي؟ أنا لا أرى ناراً ولا دخاناً!!

– مطّ علاء شفتيه وقال:

– كنت أقلد رجل الإطفاء، فأنا أحب أن أساعد النّاس.

ابتسـمت الأم راضـية، ومسـحت على شـعره برقة، بينما راحت القطة تلعق قطرات الحليب من على الأرض.

☒☒☒

# العجلـــة

قـديمـاً.. كـان هنـاك عربـة، لهـا عجلتـان خشبيتان، يجرها حصان أبيض رشيق.

في أحد الأيّام، وبعد مســـير طويل، قرّرت إحدى العجلتين التخلّص من صـديقتها العربة، لأنّها تتجه دائماً في الاتجاه نفســـه الذي يمشـــي به الحصان.

تململت العجلة

انخلعت المسامير

وانفصلت عن العربة

درجت العجلة الطليقة فرحةً فوق الدروب، تشـــدو أغنية الحرية وتنط بســـعادة كلما مرّت فوق حصاة صغيرة .

وفجأة.. وصـــلت إلى منحدر، حاولت أن تفرمل، لم تستطع، فما كان منها إلاّ أن اصطدمت بصخرة كبيرة، فتكسرّت.. وصارت حطاماً.

# حكايات نجمة الصبح

ذات ليلة.. تقدّمت نجمة صـــغيرة، من نجمة بيضاء مشعة، وسألتها:

– لمـاذا لا تختفين معنـا في الليـل، وتبقين حتى الصباح ؟

تنهدت النجمة البيضاء، قالت:

– أفكر في طريقة ألم فيها شـــمل عدد كبير من النجوم .

لمعت النجمة الصغيرة، قالت:

– الله.. ما أروع فكرتك يا نجمة الصـبح، كم

أتمنى أن أتعرف على صـــديقاتي النجمات، كي نلمع معاً ونضـــحك معاً، لكن.. أين سنجتمع؟

– عندي.. وسأحكي لكنّ كلّ يوم حكاية .

– وتحكين الحكـايـات؟! يـا لـك من نجمـة رائعة، ســـآتي إليك غداً، في أوّل السّـــهرة، لأسمع حكاية حلوة.

وفعلاً.. حكت نجمة الصبح لضيفتها الصغيرة، في الليلة التالية حكاية ممتعة عن الصداقة.

وليلة بعد ليلة، تزايد عدد النجوم السـاهرة حول نجمة الصـــبح حيث اســـتمعن إلى حكايات الحب والجمال والأمل.

بعد أربع عشرة ليلة، اجتمع حول نجمة الصبح عـدد كبير من النجوم، ظهرن على شـــكل قرص فضـيّ مضـيء، سمّي القمر.

# المقطورة المتمردة

في تمام الساعة التاسعة مساء، فتحت القاطرة عينيها الضوئيتين وعطست مصدرة صفيراً مصحوباً بدخان أبيض، ثم درجت فوق ســـكة الحديد، مغنية أغنيتها الوحيدة: تشك.. تشك..تشك.

كانت العربات المقطورة، تمشـي خلف القاطرة، كرتل نملات، تتجه صـوب السـهول الخضـراء، ثمّ تـدخـل الأنفـاق المظلمـة، وبين فترة وأخرى تقف للراحة، ضمن محطات محددة، فينزل ركاب ويصعد

آخرون.

ذات مرة.. وبينما كانت القاطرة تأخذ نفساً عميقاً، استعداداً للصفير، نادتها إحدى المقطورات الخلفية..

- هيه.. قاطرة على مهلك .

زفرت القاطرة، قالت:

-مقطورة.. ما بك.. هل حدث مكروه؟!

-لا.. اطمئني، أريد أن أطلب منك طلباً

- تفضلي.

- أرجو أن تتظاهري بالمرض، ولا تنطلقي .

- غريب.. لماذا.؟

- بصراحة مللت المسير، كل يوم المناظر نفسها والمحطات ذاتها، المواعيد نفسها والسكة ذاتها، أف.. ما هذا العمر؟

– وما الحل؟

– ما الحل؟ أنت تسألين؟ ألست أنت من يقودنا؟

– صحيح.. لكنني لا أستطيع الانحراف عن السكة بمقدار شعرة وأنت تعلمين ذلك جيداً.

– لهذا السبب طلبت منك عدم المسير، لقد صارت حياتنا رتيبة رتابة لا تطاق.

– فكرت القاطرة قليلاً، قالت :

– عندي حل، حاولي أن تنظري إلى ما حولك من خلال عيون الركاب. ثم أطلقت صفيراً قوياً، وتحركت تجر العربات في الموعد المحدد. سارت المقطورة خلف صديقاتها على مضض، ناظرة حولها بتشاؤم. بغتة.. أحسّت بأنف صغير يحك زجاجها، أمعنت النظر شاهدت طفلاً يقف

بجانب أمّه، يتأمّل المناظر ويقول:

– (ماما.. انظري إلى تلك السهول الخضراء المزركشة بالزهور الملونة، إنّها تشبه سجادة صلاة جدتي.

أوه.. ما هذه الشجرة العملاقة! كنت أحسب ليمونة دارنا أكبر شجرة في العالم، تخيلي.. إذا وضعناها بجانبها، تظهر كأنّها طفلة صغيرة.

التلّة.. هناك. إنها تبدو كسنام جمل)

كانت المقطورة تنظر دهشة إلى الأشياء التي يشير إليها الطفل، فتشعر بأنّها تراها لأوّل مرّة، خصوصاً عندما سمعت الصفرات المرحة التي تطلقها القاطرة.

# أحلام الثعالب

في عيد المحبة، تصـــادق الحمار والفأرة والدجاجة والثعلب.

مرّة.. وبينما كان الأربعة يتســـامرون تحت ضوء القمر، سأل الثعلب أصدقاءه عن أحلامهم، فأجابه الحمار:

-أنا أحلم بأرض واسعة مليئة بالبرسيم الطري، أرعى فيها على كيفي.

قالت الفأرة:

أنا أحلم بقطعة جبن كبيرة، مهما أكلت

منها لا تنفذ .

قوقأت الدجاجة، قالت:

أما أنا فأحلم بكومة كبيرة، تحتوي كل أنواع الحبوب.

وأنت.. بماذا تحلم؟ سأله الثلاثة.

لم يجب الثعلب، لأنّه كان شارداً، مغمضاً إحدى عينيه، حالماً أنّه يركب حماراً عليه خرج مملوء بالفئران المسلوخة، والجبن الطازج والدّجاج المنتوف.

# المحارب القديم

في إحـدى قـاعـات المتحف الوطني، ذي الواجهة الكبيرة، المنقوشـة بزخارف هندسـية وحيوانية ونباتية، وقف محارب مصـنوع من الجص الأبيض على قاعدة رخامية، واضعاً خوذة معدنية على رأسه، لابسـاً درعاً على شـكل قميص من زرد الحديد، وتحتها سـروال معدني له مفاصـل عند الركب، منتعلاً صندلاً مصنوعاً من الجلد السميك.

كان المحارب يقف رافعاً رأسـه، ماسـكاً قبضـة سـيفه المغمد، واضـعاً ترسـه المرصـع بمسـامير

نحاسية فوق صدره.

في الجهة المقابلة لذاك المحارب، وضع صندوق زجاجي كبير مليء بالمجوهرات والنقود الذهبية اللامعة.

منذ مدّة.. أي بعد وضع صندوق المجوهرات والنقود في القاعة، شعر المحارب بالضيق والغضب، فالزائرون –أكثر الزائرين – كانوا يقفون أمام صندوق المجوهرات دهشين، يشيرون بسباباتهم إلى هذا العقد، أو ذلك الإسوار خصوصاً النساء.

شدّ المحارب أصابعه على قبضة السيف، كزّ أسنانه على بعضها، قال:

– تباً لهؤلاء الزائرين، إنهم يتحلقون دائماً حول صندوق الجواهر وعيونهم مسمرة على الأطواق والدنانير، أمّا أنا – المحارب القديم – الذي خاض المعارك الضارية، وهزم الأعداء فلا أحد يلتفت إليه.

مرة.. نفد صـــبر المحـارب، وقرر أن ينتقم لنفســـه، وإليكم ما حدث. دخلت فتاتان المتحف، وكالعادة.. وقفتا أمام صـــندوق المجوهرات تنظران إلى محتوياته بإعجاب، وبدأتا تتحازران عن أحلى عقد، وبعد طول مجادلة، توصـــلتا إلى أنّ العقد المزين بالعقيق الأحمر هو الأحلى، ثمّ اســـتدارتا تريدان الخروج، وفور رؤيتهما المحارب، امتعضـــت إحدى الفتاتين، قالت:

-أفّ.. ما أبشع هذا الهيكل الحديدي الصّدئ، كيف يضـــعونه في القاعة نفســـها التي تحتوي على الذهب والأحجار الكريمة اللامعة!

هذا ما حدث، أمّا ردّة فعل المحارب، فها أنا ذا سأرويها لكم.

عندما انتهى موعد الزيارة المســـائية، وأقفل الحـارس بـاب المتحف، كـان المحـارب غـارقـاً في تفكيره، بـاحثـاً عن طريقـة يزيح بهـا صـــنـدوق

المجوهرات من أمامه، كي تخلو القاعة له.

فجأة.. وبينما هو في شروده، انتبه إلى صوت هامس يقول:

-تعال.. تعال، لقد وجدته، ها هو.. الله.. إنّه مليء بالمجوهرات.. كنز، سنغتني إلى الأبد، هيّا.. افتح الكيس ريثما أنزع عنه الغطاء.

عندما سمع المحارب هذا الكلام، نسي حقده على الصندوق واصطبغ وجهه بالحمرة، وبلمح البصر، استلّ سيفه من غمده فلمع ضوء كأنه الشهاب ثم صاح:

-مكانكما أيّها اللّصان.. سأقطعكما إرباً إرباً.

ذعر اللصان، وأطلقا ساقيهما للريح، لائذين بالفرار.

في اليوم التالي..شعر المحارب -أوّل مرّة - بالزّهو والفخر فها هم الزائرون يقفون حوله، مبهورين

بلمعان سـيفه الذي فاق لمعان صـندوق المجوهرات، حتّى أن إحدى الفتيات تمنت أن يخطبها شـابّ قويّ وجميل، يشبه المحارب تماماً.

# المعجم

أحسّ المعجم النائم على كتف صديقته الرّواية بحركة قريبة، فتح عينيه متثائباً فرأى كلمة بهلوان تنطّ أمامه برشاقة وليونة.

–هيه.. أنتِ، قفي لو سمحت، لقد أزعجتني.

–لا أستطيع، فأنا يا، "أخونا" دائمة الحركة.

انتفض المعجم غاضباً، قال:

–قوّمي لسانك، الفصحاء يقولون "يا أخانا" تذكري أنّك تتكلّمين مع معجم.

–معجم؟! هل قلت معجم؟ أخيراً وجدناك.

–حســـبي الله ونعم الوكيل، لقد أخطأت ثانية، اسمعي.. أنت وحيدة، إذاً قولي لقد وجدتك.

–حاضر.. سأقول وجدتك، لا تزعل .

–لست زعلان، تفضلي.. ماذا تريدين؟

وقفت كلمة بهلوان، وقالت بأدب شديد:

–بصراحة.. أريد أن أعيش بين أحضانك.

–ماذا؟! أعيدي لو سمحت، أنا أحتضن كلمة غير عربية، هل جرى لعقلك شيء؟

–أخي.. لماذا تعمل من الحبة قبّة؟

–لا تطوّلي لسانك، افهمي.. أنا لا أحتضن إلاّ الكلمات الفصيحة.

–أعرف، ولهذا الســـبب قررت العيش عندك، لقد مللت الحياة على ألسنة الناس الأميين، فهم كما تعرف لا يجيدون النطق بشـــكل ســـليم، ومع ذلك يتكلمون بالعامية، أرجوك.. دعني أعش مع كلماتك، فقد ســـمعت كثيراً عن فصـــاحتها وجمالها، لا تكن

قاسياً.. أرجوك.

حكّ المعجم رأسه مفكراً، قال:

-طيب.. كيف اسـمح لك بالعيش عندي، وأنا أحتضن كلمة مهرّج؟

-لا تغلط.. صـــحيح أنّ المهرّج قـادر على إضحاكك، لكنّه أبداً لا يقدر على القفز مثلي، انظر..

وراحـت كلمـة بهلوان تقوم بحركـات بهلوانيـة مدهشة.

-حسناً.. حسناً، أمري لله، سأدخلك لكن بشرط

-ما هو؟

-أن أجلس بجوارك كلمة -معربة-

-شكراً لك.. اتفقنا.

ثمّ مدّت كلمة بهلوان رجلها تريد الدّخول، فجأة صاح المعجم:

-تمهلي.. تمهلي، يجب أن تدخلي رأسك أوّلاً،

فأنا آخذ بالحرف الأوّل من الكلمة وليس بالحرف الأخير.

–لم أفهم.

–أقصد أنّك ستعيشين في صفحة الباء وليس في صفحة النون.

–ومن يسكن تلك الصفحة؟

–صديقاتك.. كلمة بدر وبنفسج وبلبل و..

–الله.. سأعيش أحلى أيّام حياتي، سألعب فوق زهور البنفسج البديعة، وأصغي إلى شدو البلبل المخملي، وبعدها أسهر على ضوء القمر لأكتب أحلى الأشعار. افتح غلافك أيّها المعجم الرّائع واسمح لي بالدخول، فأنا لا أطيق صبراً.

ضحك المعجم، فتح غلافه، وبلمح البصر انقلبت كلمة بهلوان على رأسها مختفية بين آلاف الزهور البنفسجية.

# القناع

انتبهت مريم إلى صـوت الجرس المعلق على رقبـة كبشـــهم، أخفت القنـاع تحت دفتر الرســـم، وركضت نحو النافذة.

كان الغبار الذي تثيره أظلاف الخرفان العائدة من المرعى، يحجب عنها رؤيـة أمّها وأخيها، لكنّ ذلك لم يمنعها من الصيّاح:

-جاسم.. تعال، سأريك شيئاً.

ترك جاســـم أمّه تدخل القطيع إلى الزريبة، وركض داخلاً الكوخ الصغير .

–قلت إنّك ستريننني شيئاً، ما هو؟

وكيف أريك وأنت على هذه الحال؟

حكّ جاسم رأسه مفكراً.. قال:

–طيّب.. انتظريني، سأعود بسرعة البرق.

عندما دخل جاسـم الغرفة باحثاً عن المنشـفة، فوجئ بمريم تضـــع على وجهها قناعاً يمثل رأس دجاجة، تركض في الغرفة، تحرّك يديها.. وتصيح:

بق.. بق..بقيق

أمسك جاسم أخته، قال:

–أعطيني القناع، سأضعه دقيقة واحدة.

– اصنع غيره، هذا لي .

– نصف دقيقة .

– ولا ثانية .

انزعج جاسم، توجّه إلى الطّاولة، وشرع يصنع

قناعاً لـه، بينما كانت مريم ما تزال تقلّد الدّجاجة.

بعد مدّة قصيرة، نطّ جاسم صوب أخته، صاح .

– همم.. أنا الثّعلب آكل الدّجاج.. سآكلك.

– خافت مريم، وركضت صارخة.

– دخلت الأم ملهوفة، قالت:

–لم الصـراخ.. ألا تسـتحيان؟ هيا.. تصـالحا ريثما أجلب البيض من القن وأحضّـــر لكما طعام العشاء.

بعـد ذهـاب الأم.. اتفق الصـــغيران وراحـا يتحاوران.

الثّعلـب: "بصـــوت حنون" مرحبـاً يـا أحلى دجاجة، كيف حالك وحال صيصانك عساكم بخير.

الدّجاجة: "بذهول" الحمد لله، كلّنا بخير .

–وزوجك.. ما أخباره؟ احكي لي .

–لا شيء جديد، يصحو باكراً كعادته ويصيح، ثم يبدأ يبحث عن الطعام، إنّه مثال الزوج في الكرم والشجاعة.

–يا سلام، أخبار سارة والله، لقد ملأت نفسي حبوراً وسروراً .بدأ خوف الدّجاجة وذهولها يتناقص، مع كلّ كلمة إطراء يتفوّه بها الثعلب، فأحسّت بوجهه يتغير، فالوبر تحوّل إلى ريش، والنابان الحادّان تحوّلا إلى سنين صغيرتين، كأنّهما حبتا برد، حتى أنّها لمحت عرفاً صغيراً ورديا، ينبت فوق رأسه.

–ثعلب.. بصراحة، أنا زعلانة منك.

–منّي؟! سامحك الله، وهل تزعل الأخت من أخيها؟

–سامحني على جرأتي، لكنّك قصرّت في حقيّ.

نظر الثعلب إلى وجه الدجاجة الودودة، فلمح

فيه إشارات الغباء واضحة، ابتسم وقال:

-هذا اتهام خطير، هاتِ احكِ لي.

البارحة.. ألم تأكل صديقتي؟

-أنا؟!

-الدجاجة البيضـــاء ما غيرها، إنّ ريشـــها المنتوف مـا يزال منثوراً قرب الحـائط المهـدود في الطرف الغربي للقرية، وأوّل البارحة أكلت دجاجة أمّ ياسر، وقبله دجاجة أبو..

-لا تـذكريني أرجوك، لعن الله الشـــيطـان، المهم.. نحن أولاد اليوم، لننس المـاضـــي ولنفتح صـفحة جديدة، لقد غيّرت طباعي، صـرت ودوداً.. سنعيش بمحبة وألفة وهناء و..

وارتفع صراخ الأم من خارج الكوخ:

-يـا ويلي... الحقوني، لقـد أكـل الثعلـب دجاجتي الحمراء.

نظرت مريم إلى قناع أخيها، فوجدت شـــكله يتغير بصـورة مدهشـة مع كلّ صـرخة تطلقها أمّها، فالريش الجميل الذي غطى وجه الثعلب، تحوّل إلى إبر، كأنّه شوك قنفذ، والسنان الصغيران كبرا وصارا أشبه تحتجزين، أمّا العرف الوردي فقد ضـمر لينبت مكانه قرن أسود مدبب.

أمّا جاسـم.. فكان يرى وجه الدجاجة المرسـوم على قناع أخته أشـــبه بوجه بومة قبيحة تســـكن الخراب.

وقبل أن تدخل أمّهما الكوخ، نزع كلّ منهما قناع الآخر ومزّقاه. ثمّ راحا يدوســـان بنزق القطع المنثورة على الأرض.

# المحتـــوى


لماذا نتذكّر الطّفولة.....8
أحلام الألعاب.....12
الكأس .....20
السّـاعة.....27
العنكبوت والدّائرة.....33
الكهف.....38
الكلمات تسافر وحدها .....46
غرفـة الألعاب.....50
الطّوق الأزرق.....54
الهاتف.....57
فِراش من ريش.....62
الكرة الأرضيّة.....65
جبل السّكر .....70
الظّلّ المخيف.....74

مدينة الحروف ..... 79
الطّوابع المسافرة..... 85
حفلة تتويج..... 89
خطّ التماس ..... 96
حروف من خشب ..... 100
أمام المرآة..... 103
العجلة ..... 105
حكايات نجمة الصبح..... 107
المقطورة المتمردة..... 110
أحلام الثعالب..... 114
المحارب القديم..... 116
المعجم..... 121
القناع..... 126

■■■

## للمؤلــف

- حديقة الألحان،مجموعة قصـــصـــية، اتحاد الكتاب العرب 1999
- رسالة من المريخ مسرحية للأطفال – جائزة الشارقة للإبداع -المركز الأول 2000

■■■